

واقع ظاهرة الانتحار في الجزائر

د . شيخي رشيد

كلية الآداب و العلوم الاجتماعية

جامعة " البليدة "

Rachikhi16ok@yahoo.fr

Résumé

Le suicide est un phénomène sociale négative , Il cause un danger dans le développement de la construction sociale . Il est progresse dans les sociétés islamiques est occident. le suicide a touché les Et deux sexes féminin et masculin dans tontes leurs ages.

dans ce cadre , cette étude prend et englobe . le phénomène du suicide on définissons . las définissons points et synonymes de cet phénomène . Et ye porte dans mon analyse de ce phénomène , les points suivantes premièrement une définition du suicide et aussi ye vrais montré quelque chiffres du suicide en Algérie , et ye donne les causes du suicide et enfin l'opinion de quelques spécialistes dans la religion islamique . finalement ye vrais progressé quelques solutions pour essayer de limiter le suicide .

ملخص

تعتبر ظاهرة الانتحار من الظواهر الاجتماعية السلبية التي أصبحت تهدد بقاء و استمرار البناء الاجتماعي و ذلك لكونها انتشرت بقوة في كل المجتمعات سواء الغربية أو الإسلامية ، كما أنها مست الجنسين معا و كل الفئات العمرية ، كما أنها مست كل شرائح المجتمع .

و لهذا الغرض جاءت هذه الدراسة كمحاولة للإمام بهذه الظاهرة في الجزائر من بعض جوانبها وذلك من خلال تحديد معنى هذا الأخير من نواحي مختلفة ، و توضيح من هو المنتحر ؟ بالإضافة إلى ذكر أنواع الانتحار و حاولت إعطاء فكرة و لو وجيزة عن عدد حالات الانتحار في بعض ولايات الوطن كما تطرقت إلى بعض أسباب هذه الظاهرة و عن موقف الشريعة الإسلامية منها و أخيرا تقديم بعض الحلول على الأقل للحد منها .

تمهيد :

في كل يوم تطلعنا الصحف الوطنية بأخبار عن الانتحار و المنتحرين عبر كامل التراب الوطني الشيء الذي أثار انتباهي و لفت نظري ، و رغم افتقاري لأرقام و إحصائيات دقيقة عن كل الولايات إلا أنني على يقين أن عدد حالات الانتحار مرتفعة جدا ، و هي تزداد من شهر لآخر و من سنة لأخرى و هذه الظاهرة لا تقتصر على جنس دون الآخر أو سن معين ، فالكل يقدم على الانتحار ببرودة تامة هروبا من المعيشة التعسة و الواقع المر ، و تقفن المنتحرون في أساليب الانتحار ، فبعضهم يلقي بنفسه من أعلى الشرفات و الآخر يتجرع سما و الثالث يقطع عروقه ، أما آخر مظاهره فهو على

طريقة البوعزيزي و هذا الأمر يدعو إلى وقفة تأمل طويلة إذ من غير المعقول أن تنتشر هذه الظاهرة في مجتمع مسلم يحرم دينه قتل النفس بغير حق ، و يعد ذلك من أكبر الكبائر ، بل يحرم حتى تمني الموت فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان لا بد فاعلا ، فليقل : اللهم ما أحييني ما كانت الحياة خيرا لي و توفياني إذا كانت الوفاة خيرا لي " رواه البخاري و مسلم ، فهذه الظاهرة تطرح الكثير من التساؤلات ؟ منها ما هي أسباب و دافعة هذا السلوك ؟ هل تقتصر هذه الظاهرة على جنس دون الآخر ؟ و كيف يمكن للفرد المسلم أن يتحصن و يحمي نفسه من هذه الظاهرة ؟ و ما موقف ديننا الحنيف من ظاهرة الانتحار ؟ هذا ما سنسعى لتوضيحه في هذا المقال .

1- معنى الانتحار :

1-1- الانتحار لغة :

تفيد كلمة " انتحار معنى متماثلا : فالكلمة مشتقة من الجذر " نحر " أي ذبح و قتل ، و انتحر الشخص أي ذبح نفسه أو قتل و نحر البعير نحرأ أي طعنه في منحره حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر " (1) .

و يقصد بالانتحار لغويا : عملية قتل الذات بذاتها ، و هو مفهوم مشتق من كلمة مركبة من أصل لاتيني من فعل Caedue بمعنى " يقتل " و الاسم Sui بمعنى النفس أو الذات في الفرنسية Suicide و كذلك بالإنجليزية (2) و يقال في اللغة كذلك تتاحر القوم إذا تشاجروا لحد الهلاك و قد استعملت كلمة " بخع نفسه " في القرآن الكريم و الأحاديث النبوية مرادفة لكلمة " انتحار " و تعني هلك نفسه أو انتهت غما (3) .

كما جاء في الموسوعة الكويتية المجلد السادس " الانتحار في اللغة : مصدر انتحر الرجل ، بمعنى نحر نفسه أي قتلها .

نستخلص من المعنى اللغوي لكلمة الانتحار هو أن الإنسان يضع حدا لحياته أي يقتل نفسه بذاته وهذا مهما اختلفت وسيلة الانتحار .

1-2- الانتحار اصطلاحا :

هو قتل الإنسان نفسه بقصد منه للقتل ، و لا يهم بعد ذلك إن كان بطريق الإيجاب كأن يضرب الإنسان نفسه بالسيف أو يشرب سما ، أو يلقي بنفسه من جبل عال ، أو كان بطريق السلب كأن يمتنع عن الأكل و الشرب كما يندرج في هذا التعريف أيضا الانتحار بطريقة غير مباشرة كأن يجلس الإنسان على سكة القطار أو في وسط طريق سريع من أن أجل أن يموت (4) .

نستخلص من هذا التعريف على أن الانتحار يعني أن الإنسان يقتل نفسه و هو متعمدا في هذا الفعل و قد يكون بطريقة إيجابية و المقصود هنا أن فترة الانتحار تستغرق وقت قصير أي يلفض أنفاسه بعد لحظات من فعله و قد يكون سلبيا و هذا عكس الحالة الأولى و هنا تعذيب النفس يسبق خروج الروح كأن يمنع نفسه من الأكل و الشرب . و عليه يمكن القول أن الانتحار هو الهروب من حقيقة الحياة التي لم يستطع المنتحر مجابهتها ، بعد اليأس الذي فتك و مزق قواه و إيمانه .

1-3- المعنى السيكولوجي :

يرى فرويد و هو مؤسس مدرسة التحليل النفسي أن الانتحار هو عبارة عن عدوان مرتد على الذات بفعالية عمليات التقمص أو الإبدال تحت ضغوط اجتماعية أو ذاتية تمنع وقوع العدوان على موضوعه الخارجي ، و هذه الضغوط هي عوامل تولد إحباط بعزل الفرد من خلاله عزلا قهريا ، مما يتسبب دون نضجه النفسي ، و الذي يؤدي إلى اختلال في بناء الشخصية بصورة تشل قدرته على التفاعل الاجتماعي السوي ، فلا يرى في العالم سوى ذاته ، ثم يتوجه بهذا العالم القاسي في أعماق

نفسه و يصر على تدمير نفسه المتأزمة تدميرا للعالم المؤلم⁽⁵⁾.

يتبين لنا من خلال هذا التعريف أن المنتحر في حالة مرضية نفسية ، و يضع حدا لحياته نتيجة دوافع عدائية نابعة من ذاته اتجاه العالم الخارجي الذي سبب له المتاعب و المتمثلة في الضغوطات الاجتماعية و يصبح عنده الألم لذة و الموت مقبول .

2- المنتحر :

- * المنتحر إنسان معترض على قضاء الله و قدره من منظور إسلامي ، يرفض واقع الحال و لا يرضي به .
- * المنتحر يائس من روح الله ، قانط من رحمته ربه ، يعيش في هواجس و وساوس الشيطان من منظور ديني .
- * المنتحر يقتل نفسه من أجل نفسه أو أسرته فهو أناني في تفكيره لا يبالي بغيره من أفراد أسرته و مجتمعه .

3- أشكال الانتحار :

حسب دوركايم هناك ثلاثة أنواع للانتحار :

3-1- الانتحار الأناني :

ينطوي على المبالغة في تقديس النفس ، فالفرد هنا يقبل على الانتحار نتيجة لضعف الروابط في مجتمعه الديني ، بالإضافة إلى نقص التماسك الاجتماعي

بين الأفراد و طغيان النزعة الفردية المتطرفة .

3-2- الانتحار الغيري أو الإيثاري :

هنا النوع من الانتحار يرجع إلى التضامن الاجتماعي و اندماج الفرد و ذوبانه في الجماعة التي ينتمي إليها و عليه تصبح المصالح العامة و الجماعية أعلى من الحياة الفردية ، فالفرد هنا يعبر عن اندماجه الاجتماعي و إيمانه بالمصلحة العامة بأعلى ما لديه وهو حياته أي يضحي بنفسه من أجل جماعته.

3-3- الانتحار الأنومي أو اللامعاري :

هذا النوع من الانتحار يحدث داخل المجتمعات التي فقدت معالمها الاجتماعية و اختلالات في نظامها الاجتماعي⁽⁵⁾ ، و ينتج هذا الانتحار عن حدوث اضطراب مفاجئ للتوازن الاجتماعي و الثقافة الأخلاقية في المجتمع ، كأن ترتفع معدلات الانتحار في الأزمات الاقتصادية و القومية ، أو حالات الرخاء المفاجئ أو الإفلاس .

يتضح لنا مما سبق أن هذا النوع من الانتحار يرجع إلى الفساد الاجتماعي و تعفن الأوضاع و كثرة الأزمات سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو الأخلاقي، كما أنه يمكن أن يحدث هذا النوع من الانتحار في الأوساط الغنية ، لأن العامل المادي حسب دوركايم لا يمكن أن يشكل الدرع المانع أمام الانتحار في ضل الفوضى الاجتماعية و الأخلاقية .

كما أن هناك أشكال و أنواع أخرى للانتحار نذكر منها ما يلي :

1- الانتحار الناجح :

هو الانتحار الذي يكون نتيجته هي الموت المحقق ، بحيث رغبة الموت تتحقق عبر سلوك محكم التنفيذ ، فيه يفارق الفرد الحياة إلى الأبد ، و لا تنفع معه كل حالات العلاج ، فالميت هو ضحية ذاته و المنتحر لم يترك أي وسيلة لإنقاذه ، و من الوسائل المستعملة في هذا النوع من الانتحار الأسلحة النارية تناول مواد سائلة مميتة ... إلخ⁽⁶⁾

2- الانتحار الفاشل :

في هذا النوع من الانتحار تكون رغبة الموت موجودة ، غير أن الطريقة أو السلوك الذي تتم بواسطته عملية الانتحار لم تكن محكمة التنفيذ ، مما لا يؤدي إلى الموت و ذلك نتيجة التدخل السريع سواء من قبل أفراد الأسرة أو غيرهم ، أو لضعف التدبير لعملية الانتحار⁽⁶⁾ ، و في هذا النوع قد تكون هناك رسالة مشفرة أراد المنتحر إرسالها إلى المحيط الذي يعيش فيه و

عنوان هذه الرسالة أما ابتزاز أو تهديد أو نداء استغاثة ، و هذا عكس النوع الأول من الانتحار أين يضع المنتحر حدا لحياته و لا يترك أي فرصة لإنقاذه

3- الانتحار الهراكري :

هذا النوع من الانتحار يمكن أن يكون جماعيا أو فرديا و قد عرف في المجتمع الياباني خاصة ، يتم في مراسيم و حفلات شعبية أين كان يقوم بها جماعة الساموراي " و هي طبقة المحاربين في اليابان القديم و يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر " و الغرض من هذا السلوك هو التعبير عن السخط و الغضب و الاحتجاج ، و في هذا النوع يدخل ما نلاحظه في السنوات الأخيرة أين يحرق بعض الأشخاص أنفسهم أمام البنايات الحكومية و الساحات العمومية للتعبير عن سخطهم من المسؤولين .

4- الانتحار الفراري :

و هو الهروب من العقاب ، أو عدم مواجهة الوضع " وضع لا يطاق " أو شدة الحزن خاصة عند فقدان أحد الأقارب ، أو عنصر أساسي أو فعال ضمن الجماعة التي ينتمي إليها .

5- الانتحار الطقوسي :

و هنا تتم التضحية بالنفس خدمة للمصلحة العامة أو لإنقاذ الآخرين ، و هذا النوع من الانتحار موجود بكثرة عند الشعوب البدائية و حتى الحضارات الراقية مثل " الأستيك " .

6- الرديف الانتحار (مكافئ للانتحار) :

استطاع العقل البشري اللاشعوري أن يجد حلولاً للانتحار ، و لكن دون انتحار فعلي ، و قد أوجد اللاشعور هذا التكافؤ كنوع من ترفيه العقل أو الشخصية ، ذلك الفرد المعين الذي لا يقبل الموت كما هو و هكذا ظهرت في السلوك الإنساني متنوعات تعطي معنى للانتحار ، و لكنه انتحار مقنع ، و منه جاءت تسمية " مكافئ للانتحار " .

و يعرف دوركايم الرديف الانتحاري بأنه " عبارة عن حالات تقود إلى خطر الموت غير مجهول من طرف الشخص ، غير أن الاختلاف يكمن في أن خطوات الموت تكون قليلة (7) .

و مهما كانت التسمية بالرديف الانتحاري حالة مقنعة يعمل بها الفرد تارة معلنا نيته في الموت الإرادي ، إلا أنه غير قادر على تنفيذ السلوك الانتحاري ، و تارة دون إعلان نيته بالموت رغم أنه يسلك سلوكا انتحاريا يؤدي به إلى الموت ، و لذا الرديف الانتحاري شكلان هما :

- رديف انتحاري مستتر : و هو الذي تغيب عنه نية الموت الإرادي .

- رديف انتحاري معلن : و هو الذي تكون فيه نية الموت الإرادي معلنة .

4- أرقام حول ظاهرة الانتحار في الجزائر :

ما يمكن قوله هنا هو أن ظاهرة الانتحار ليست وليدة السنوات الأخيرة فقط ، و إنما هي موجودة منذ زمتنا طويل ، بحث أحصي أثناء الوجود الاستعماري الفرنسي في الفترة الممتدة ما بين 1942-1949 م 1507 حالة منهم 1086 ذكور أي ما يعادل نسبة 72.06 % و 421 إناث أي ما يعادل 27.94 % كما تم تسجيل 1476 حالة انتحار في الفترة الممتدة ما بين 1950 - 1955 م ، أما بالنسبة للفترة الممتدة ما بين 1990 / 1994 تم تسجيل 793 حالة انتحار منها 475 ذكور أي ما يعادل 59.89 % و 318 إناث أي ما يعادل 40.11 % ، و قد مست هذه الظاهرة خاصة فئة المراهقين و البطالين بالإضافة إلى العازيات (8) . أما في السنوات الأخيرة أي من سنة 2003 إلى غاية السداسي الأول من سنة 2010 فسيتم عرضها حسب الجدول التالي :

الجدول رقم 01 : يبين توزيع حالات الانتحار من سنة 2005 إلى السداسي الأول من 2010 (9) .

نسبة %	د حالات الانتحار	ترة
10.6	1	200
15.8	16	200
16.5	17	200
11.8	12	200
28.3	30	200
16.8	18	سداسي الأول من سنة 2010
10	107	مجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن ظاهرة الانتحار تزداد من سنة إلى أخرى باستثناء سنة 2008 م أين سجلت أدنى نسبة و المقدرة ب 11.87 % ، أما أعلى نسبة سجلت كانت في سنة 2009 م و التي بلغت 28.32 % ، كما نلاحظ كذلك في الجدول سنة 2010 م سنة انتحار بحيث سجل في السداسي الأول منها فقط 180 حالة ما يعادل 16.82 % من المجموع الكلي ، لذلك يمكن القول أن ناقوس الخطر قد دق بالنسبة لهذه الظاهرة .

أما محاولات الانتحار لنفس السنوات نبينها في الجدول التالي :

الجدول رقم 02 : يبين محاولات الانتحار من سنة 2005 إلى السداسي الأول من 2010⁽⁹⁾ .

نسبة %	د محاولات الانتحار	بنوات
7.9	34	200
12.7	57	200
12.3	54	200
11.6	52	200
34.7	154	200
21.2	96	سداسي الأول من سنة 2010
10	452	مجموع

يتبين لنا من خلال الجدول أن أدنى نسبة سجلت لمحاولة الانتحار كانت خاصة بسنة 2005 و التي قدرت ب 7.91 % ، تليها نسبة 11.69 % و الخاصة بسنة 2008 م ، أما أكبر نسبة سجلت هي 34.13 % في سنة 2009 م ، كما أن عدد المحاولات المسجلة في سنة 2010 مرتفعة جدا بحيث في سداسي واحد سجلت 961 و لو سجل نفس العدد للسداسي الثاني تصبح عدد الحالات 1922 محاولة و هو رقم كبير جدا .

ما يمكن قوله هو أن عدد محاولات الانتحار المسجلة في الجدول كبيرة جدا ، باستثناء تذبذبها من سنة لأخرى بحث لم تعرف الاستقرار فهي تارة ترتفع من سنة لأخرى و تارة أخرى تتخفف من سنة لأخرى ، و لو نضيف عدد محاولات الانتحار هذه إلى حالات الانتحار لنفس السنوات المذكور في الجدول رقم و احد ، لأصبح الأمر مخيف و مرعب و خطير لأنها كبيرة جدا ، و لا يجب أن تكون في بلد مسلم يؤمن بالله و بقضائه و قدره .

ما يمكن قوله من خلال الإحصائيات المعروضة هو أن هذه الظاهرة ترتفع من سنة لأخرى و تستدعي من الجميع أن يتحركوا كل واحد في نطاق عمله و ما تسمح به قدراته ، فالإمام بتوعية الأفراد في المساجد بخطورة الظاهرة و عواقبها على الفرد المنتحر و على عائلته و مجتمعه ، و الباحثون يعملون على دراسة هذه الظاهرة من أجل تشخيص أسبابها و بناءا على هذه الأسباب يقدمون الحلول و الإقتراحات و السياسيون و المسؤولون يعملون على تحسين الظروف الاجتماعية و الاقتصادية

لأفراد المجتمع و الأولياء و المدرسون يعملون على تنشئة أبنائهم تنشئة صالحة ، و هكذا الكل يتحرك في نطاق مجاله من أجل و ضع حد لهذه الظاهرة أو على الأقل التقليل منها .

5- أرقام حول ظاهرة الانتحار في بعض ولايات الوطن :

في دراسة أجرتها مصلحة الطب الشرعي بمستشفى مصطفى باشا خلال الفترة الممتدة ما بين جانفي 2003 إلى ديسمبر 2007 توصلت إلى أن عدد حالات الانتحار قد بلغت 155 حالة (10) .

و في دراسة أخرى أجريت في المستشفى الجامعي لولاية البليدة حول ظاهرة الانتحار في ولاية البليدة للفترة الممتدة ما بين 2003 م إلى غاية 2007 م ، و عليه فقد تم إحصاء 69 حالة (11) .

أما فيما يخص ولاية بجاية فقد أحصي فيها 294 حالة انتحار للفترة الممتدة ما بين 2000 و 2006 م (12) و تعتبر هذه الولاية رائدة من حيث عدد حالات الانتحار مقارنة بالولايات الآخرة ، و في دراسة أخرى أجريت في مستشفى " نذير محمد " بولاية تيزي وزو تحت قيادة البروفيسور " عباس زيري " و هو المدير العام لهذا الأخير فقد تم إحصاء 132 حالة انتحار و 400 محاولة سنة 2007 م (13) ، أما سنة 2008 م سجلت فيها 50 حالة انتحار و 23 محاولة ، أما فيما يخص الدراسة التي قام بها المعهد الوطني للصحة العامة مع مصلحة الطب الشرعي للمستشفى الجامعي لولاية وهران و التي شملت الفترة 2003 / 2007 م قد أحصيا 227 حالة انتحار (14) .

أما الوسائل التي يستخدمها المنتحرون لوضع حدا لحياتهم في ليست محصورة في وسيلة واحدة أو اثنين و إنما هي عديدة و متنوعة حسب الدراسات السابقة الذكر و ما تتناوله الصحف منها استعمال السلاح الناري و الأبيض ابتلاع المواد السامة ، تناول الأقراص و الأدوية ، الشنق ، القفز من الأماكن العالية ، الحرق إلخ ، و فما يخص الأسباب و الدوافع التي تدفعهم لارتكاب هذا السلوك نذكر منها على سبل المثال لا الحصر المشاكل العائلية أزمة السكن ، البطالة ، التخلف العقلي ، مشاكل مهنية انهيار عصبي ، التهرب من الفضيحة ، اضطرابات نفسية تراكم الديون ، الإدمان ، المشاكل العاطفية إلخ ، أما فيما يخص الجنس و الفئات العمرية في لا تقتصر على جنس دون آخر في تمس الجنسين الذكور و الإناث و تمس كل الفئات العمرية و لكن بدرجات متفاوتة

6- موقف الشريعة الإسلامية من الانتحار :

رأى الفقهاء و علماء الدين أن ما ورد في جريمة القتل من آيات قرآنية يشمل قتل الإنسان لنفسه كما يشمل قتل الإنسان لغيره ، فالذي ينتحر يكون قد قتل نفسا حرم الله قتلها إلا بحق ، قال جل شأنه " و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا " (15) ، و عليه من قتل النفس بغير حق هو تعد على حدود الله ، فمن قام بأي سيئ يؤدي إلى سلب الحياة عمدا فإن ذلك يعد اجتراء و اعتداء على حقوق الله على عز وجل ، بل رأى العلماء أن المنتحر أعظم وزرا من قاتل غيره و من الآيات التي حرمت هذا السلوك قوله سبحانه و تعالى " و لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ، و من يفعل ذلك عدوانا و ظلما فسوف نصليه نارا و كان ذلك على الله يسيرا " (16) ، فالمسلم ممنوع عليه حتى تمنى الموت المجازفة بحياته دون سبب لقوله تعالى " و أنفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة و أحسنوا إن الله يحب المحسنين " (17) ، فما بلنا من يقتل نفسه معتمدا في فعله .

فالمسلم لا يحق له أن يقتل نفسه في جميع أوقاته خيرها و شرها حلوها و مرها ، فالواجب أن يتوكل على الله في كل أحواله و أن يتقبل المصائب التي يبتل بها .

فالتزام المسلمين بتعاليم دينهم الحنيف سواء ما ورد في القرآن الكريم أو سيرة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم يجعلهم يشعرون بالراحة و الرضا و القناعة و الإيمان بقضاء الله و قدره ، فلما كان الإنسان متعرض إلى هزات بسبب المشاكل (صحية ، مالية ، اجتماعية) التي تعترض حياته كان لزاما عليه أن يتعرض للكآبة و الحزن و الهم و الغم ، فالله سبحانه

و تعالى لم يترك عباده في حيرة من أمرهم بل وجههم إلى الطريق المستقيم و ذلك بكيفية الخروج من تلك المحن بعدة و سائل منها الصبر و التقوى لقوله جل شأنه " و بشر الصابرين الذين إذا أصبتهم مصيبة قالوا إنا لله و أنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة و أولئك هم المهتدون " (18) و قال تعالى " و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب (19) ، هكذا يجب أن يتعامل المسلمون مع مشاكلهم و المصائب التي يبتلوا بها ، فالله سبحانه و تعالى قد أحاط الحياة بسياج من الحماية و الرعاية و الصيانة ، بحيث تبقى بعد ذلك في منأى عن كل محاولة للعبث بها و إلحاق الأذى بسلامتها لذلك ورد في القرآن الكريم أن قتل النفس الواحدة كقتل الناس جميعا .

أما موقف السنة النبوية من هذا السلوك قد جاء فيها وعيد شديد بالعقاب يوم القيامة و الخلود في نار جهنم و يعذب بالوسيلة التي استخدمها في انتحاره ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال " من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا و من قتل نفسه بحديدة فحديده في يده يتوجع بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيهل أبدا " رواه البخاري ، و عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه و سلم قال : " من قتل نفسه نشئ في الدنيا عذب به يوم القيامة " رواه بخاري و مسلم .

هذا هو موقف الإسلام من قتل النفس ، و الذي كان له دور كبير في انخفاض معدل الانتحار في الدول الإسلامية مقارنة بالدول التي لا تتبع هذا الدين ، قد دلت بعض الدراسات عن هذا و وجد بأن نسبة الانتحار جد منخفضة مقارنة بالدول الغربية ، حيث سجل حالي (02) انتحار في كل 100000 نسمة في الدول الإسلامية بينما أحصي الدول الغربية 20 حالة انتحار في كل 100000 نسمة (20) .

غير أن هذه النسب بدأت في ارتفاع في السنوات الأخيرة في الدول الإسلامية بما فيها الجزائر نظرا للتغيرات التي تشهدها هذه الدول من كل النواحي سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو دينية بالأخص ، لأن الجانب الديني أو الروحاني له أهمية كبيرة لتجنب مثل هذه السلوكيات السلبية .

7- أسباب الانتحار :

أسباب الانتحار كثيرة و متنوعة و متشابكة و متداخلة ، لا يمكن إرجاع هذه الظاهرة إلي سبب واحد ، و إن كانت تتفاوت في مقدار تأثيرها ، فمنها ما هو ديني و منها ما هو سياسي ، و منها ما هو اجتماعي و منها ما هو اقتصادي ، و قد تجتمع كل هذه الأسباب دفعة واحدة ، و قد يجتمع بعضها فقط .

1_7_ ضعف الإيمان :

ضعف الإيمان و قلت الوازع الديني يعتبران من أكبر أسباب الانتحار نظرا لأننا مجتمع مسلم نؤمنون بقضاء الله و قدره و نحن مبتلون في هذه الدنيا و مطالبون بالصبر على ما أصبنا من مصائب سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو صحية (مشاكل أسرية ، بطالة ، فقر ، ضيق المسكن ، مرض إلخ) .

فالمنتحر إنسان ضعيف الصلة بربه لهذا لا يقدر على مواجهة المصائب و الشدائد ، و خوض معركة الحياة ما إن تهب رياح الشدة و البلاء ينهار أمامها و تخور قواه و ييأس من روح الله و يقنط من رحمتي ربه لأنه فاقد السلاح و الحصن الحصين الذي يواجه به مثل هذه الظروف ، لذا نجد ظاهرة الانتحار تكثر في المجتمعات الملحدة و الكافرة و المشركة ، فقد جاء في تفسير المنار "...لذلك نرى بزع النفس (الانتحار) يكثر حين يقل الإيمان و يفشو الكفر و الإلحاد ، و من فوائد الإيمان مدافعة المصائب و الأكدار ، فالمؤمن لا يتألم من بؤس الحياة كما يتألم الكافر ، فليس من شأنه أن يبيع نفسه حتى ينهى عن ذلك نهيا صريحا ، و قد وصف القرآن الكريم هذا النموذج من الناس في قوله سبحانه و تعالى " ولئن أدقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤس كفور " (21) ، و قال جل شأنه كذلك " لا يسئ الإنسان من دعاء الخير و إن مسه الشر فيؤس قنوط " (22) و قال في موقع آخر سبحانه تعالى " و إذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه و إذا مسه الشر كان

يئوسا " (23) ، و في آية آخر قال تعالى " و من الناس من يعبد الله على حرف فإذا أصابه خير اطمأن به و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين " (24) ، يبين الله لنا هنا الفرق بين الإنسان قوي الإيمان و ضعيف الإيمان فالأول يحمد الله في السراء و يصبر في الضراء أي عندما يبتلى بمصيبة ما ، أما الثاني فقد يحمد الله في السراء و أو قد ينسى نعمه عليه أي لا يحمد الله على تلك النعم و الرخاء ، أما في حالة الشدائد أي في وقت الابتلاء فلا يصبر على ما أصابه و تضيق به الدنيا و تصبح بلا طعم و يصبه الحزن و الكآبة و في هذا الصدد يقول الشاعر :

ليس من مات فاستراح بميت

إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيها

كاسفا باله قليل الرجاء ؟

و بيدئ في تمنى الموت ، و قد يضع حدا لحياته أي ينتحر .

7-2- غياب الوعي بحرمة الانتحار :

كثير من المنتحرين المسلمين ، يعلم حرمة لانتحار و أنه من كبائر الذنوب لكن القليل منهم اطلع على نصوص الشرع من الكتاب و السنة النبوية المحرمة لانتحار و العقاب الشديد و العذاب الأليم الذي ينتظر صاحب هذه الجريمة في الدار الآخرة و إن اطلعوا عليها لم يتجرعوها و لم يفهموا معانيها و لم تدخل في قلوبهم و هذه النصوص تدخل في باب الترهيب تجعل كل من اطلعها عليها يراجع قراره و يتوقف في إقدامه على الانتحار و يغير موقفه ، فمثل هذه النصوص لون من التربية الإسلامية حتى يعظم جانب الخوف في نفس المسلم خاصة عن من يحاول الإقدام على المعاصي متكلا على عفو الله تعالى ، و في غياب هذا الوعي يبقى الكثير من المنتحرين لا يترددون في الإقدام على الانتحار .

7-3- الجهل بطبيعة الحياة الدنيا :

أكثر المنتحرين يجهلون طبيعة الحياة الدنيا و حقيقة العيش فيها ، فيعتقد هؤلاء أنها دار هناء و نعيم خلقت للمعيشة الرغبة ، يتنقل فيها الإنسان من لذة لأخرى ، و كأنها جنة نعيم و دار خلود مفروشة بالأزهار و الورود و انطلاقا من هذا التصور الخاطئ نجد المنتحر إذا ما نزلت عليه مصيبة و حلت بداره نائبة أو شديدة كان أشد الناس عجزا كما وصفه الله سبحانه و تعالى في قوله " لا يسئ الإنسان من دعاء الخير و إن مسه الشر فيئوس قنوط " (22) . فتنهار نفسه و لا يقوى على تحمل ما يعيشه من وقائع المصيبة لأن ما يراه و ما يعيشه كان على خلاف ما يعتقد و هنا قد يبدأ التفكير في الانتحار بصورة جدية لأن مبدأ كل علم نظري و عمل اختياري هو كما قال "ابن القيم " هو الخواطر و الأفكار ثم هذه الأخيرة توجب التصورات فيصور له إبليس اللعين أن الانتحار خير مخرج له من هذا الواقع المر و المعيشة التعيسة ، و هذا التصور يدعو الإرادة و هذه الأخيرة تقتضي وقوع الفعل فتقع جريمة الانتحار" (25) .

و عليه هذه الأسباب الثلاثة السابقة الذكر يمكن إدراجها ضمن سبب واحد و هو وجود خلل في الحياة العقائدية و الروحية للمنتحر .

7-4- الجانب النفسي :

قد يصاب الإنسان بمرض عصبي أو عضوي (مرض مزمن أو خطير) أو عقلي ، فإن لم يستطع

التعايش مع حالته النفسية و التكيف معها ، قد يصبح عرضة للانتحار و يضع حدا لحياته .

7-5- وسائل الإعلام :

قد يكون الإنسان مغرما بالفضائيات و الهوائيات ، مولعا بأفلام العنف و الخيال و المغامرات و قصص الأبطال التي

غالب ما تنتهي بقتل البطل لنفسه متخلصا بذلك من متاعب الحياة و مصاعبها و توحى أحداث مثل هذه الأفلام أن هذه النهاية تمثل أقصى درجات الشجاعة ، فمثل هذه الصور و الأفكار تترسخ في أذهان المشاهدين خاصة الأطفال و الشباب المراهق ، فيقدمون على الانتحار إذا ما واجهتهم بعض مصاعب الحياة ، تقليدا منهم لما شاهدوه و يمكن إدراج في هذا الباب أي ظاهرة التقليد ما تعيشه الدول العربية و هو الانتحار عن طريقة البوعزيزي إذا ما اعترضتهم المشاكل الاجتماعية .

6-7- الجانب الاقتصادي :

لا يخفى عن أي دارس العلاقة الموجودة بين الأزمات الاقتصادية و ظاهرة الانتحار ، بالأزمات الاقتصادية يصاحبها الفقر المدقع و البطالة وكثرة الديون و انعدام المسكن أو ضيقه و ما أكثرها في المجتمع الجزائري فهي تعتبر من أهم المشاكل الاجتماعية ، و كل واحد من هذه العوامل قد تكون دافعا للانتحار فما بذلك باجتماعها دفعة واحدة .

7-7- المشاكل الأسرية :

الكل يعلم أن الأسرة هي خلية المجتمع ، فكما صلحت صلح المجتمع كله ، و كلما فسدت فسد المجتمع و الأسرة التي لا تبنى على أساس التقوى مآلها الفشل و هذا ما ينقلب على الأسرة في حد ذاتها ثم يمتد هذا الفشل إلى المجتمع ، بالزوج المتدمر من زوجته و أولاده قد يقدم على الانتحار ، و كذلك بالنسبة للزوجة التي تعاني الظلم و القهر و بدرجة أكبر الأطفال ، فكثرة المشاكل الأسرية تؤدي إلى التفكك و هذا الأخير يؤدي إلى الكثير من المشاكل الاجتماعية السلبية مثل شرب الخمر و تعاطي المخدرات و أكثرها خطرا الانتحار

و ما يجب أن يعرفه الذين يفكرون في هذا الفعل هو أن يفكروا في الوقفات التالية :

الوقفة الأولى : أن يحمدا الله على النعم التي منحت لهم من ربهم و يصبروا على ما أصابهم من مصاب و لا يصبوا كل تفكيرهم على النعمة المفقودة و المبالغة في الحزن عليها ، و في هذا الصدد يقول ربنا جلا شأنه " و إن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله غفور رحيم " (26) ، فإذا أبصر الإنسان على النعم التي منحت له و وضعها في الميزان مقابل التي فقدها هانت عليه هذه الأخيرة و حمد الله و استرجع و صبر و احتسب الأجر على الله و دعاه أن يؤجره في مصيبيته و أن يخلفه خير منها

الوقفة الثانية : عسى أن تكره شيئا و هو خير لكم ، خلق الله تعالى النفس و علم ما يصلحها و يفسدها و قدر المقادير قبل خلق السماوات و الأرض بخمسين ألف سنة ، لكن بني آدم علمه قاصر ، قد يظن الخير في بعض الأمور لكنها شرا له ، و يكره بعض الأمور و هي خيرا له ، قال تعالى " كتب عليكم القتال و هو كرهن لكم و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئا و هو شرا لكم و الله يعلم و أنتم لا تعلمون " (27) فالمصائب و المتاعب إذا حلت بالإنسان فيها الخير الكثير ، و أغلب المنتحرين لا يبصرون الخير في هذه المصائب و يرونها شرا محضا لا نفع من ورئها ، و هذا خطأ جسيم وقع فيه كثير من الناس أصحاب النظر السطحي ، قال ابن القيم " مقرر أن عامة مصالح البشر في ما تكرهه النفوس : " فمن صحت له معرفة ربه و الفقه في أسمائه و صفاته ، علم يقينا أن مكروهات التي تصيبه و المحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح و المنافع لا يحصيها علمه و لا فكرته ، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب فعامة مصالح النفوس في مكروهاتها كما أن عامة مضارها و أسباب هلكتها في محبوبتها ... و متى ظفر العبد بهذه المعرفة سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه نعيمها إلا نعيم جنة الآخرة " (25) .

الوقفة الثالثة : تكفير الذنوب و رفع الدرجات و في هذا الصدد يقول سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم " ما يصيب المسلم من نصب و لا وصب و لا هم و لا حزن و لا أذى و لا غم حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها " رواه البخاري و مسلم ، و في حديث ابن مسعود قال عليه الصلاة و السلام " ... ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته ، و حطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة و رقاها " رواه البخاري و مسلم .

قال العلامة " ابن عثيمين " .. و الإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى مسرورا دائما ، بل هو يوم يسر و يوم يحزن ، و يوم يأتيه شيء ، و يوم لا يأتيه ، فهو مصاب بمصائب في نفسه ، و مصائب في بدنه و مصائب في مجتمعه ، و مصائب في أهله ، و لا تحصي المصائب التي تصيب الإنسان ، و لكن المؤمن أمره كله خيرا له و إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، و إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، فإذا أصبت بالمصيبة فلا تظن أن هذا الهم الذي يأتيك أو هذا الألم الذي يأتيك و لو كان شوكة لا تظن أنه يذهب سدى ، بل ستعوض خيرا منه ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة ورقها و هذا من نعمة الله " (28) .

8- العلاج المفيد لظاهرة الانتحار (29) :

بعد أن وقفنا على بعض أسباب ظاهرة الانتحار يمكننا القول أن علاجها لا يمكن أن ينفصل عن تلك الأسباب المذكورة ، بمعنى أن العلاج يجب أن تتعدد أساليبه و تتنوع بقدر تنوع الأسباب ، فيكون العلاج على المستوى الثقافي و السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي ، لكن الأولوية يجب أن تعطى للجانب الديني لأن الإسلام منهج شامل للحياة نجد فيه حل لكل الظواهر السلبية ، كما أن العلاج على المستويات الأخرى السياسية و الاقتصادية و الإعلامية و الثقافية يجب أن يكون هو الآخر في ضوء الإسلام ، لأن الكثير من البلدان المتطورة رغم ازدهارها اقتصاديا و سياسيا و اجتماعيا تعرف ظاهرة الانتحار بشكل رهيب منها : الولايات المتحدة الأمريكية و السويد ، و السبب في ذلك أن مثل هذه الدول تعيش فراغ روحيا رهيبا لأنهم ظنوا أن الإنسان كتلة مادية و لم يلتفتوا إلى الجانب المهم فيه و الجانب الروحي ، لذا التركيز على الحلول المادية فقط لن يجدي نفعاً في علاج ظاهرة الانتحار ، خاصة إذا كانت هذه الحلول ترقيعية مثل المناداة بإقامة حفلات و صهرات غنائية للشباب حتى ينفسوا عن أنفسهم ، و ربطهم بشبكة الانترنت و إقامة الملاعب الرياضية ، فمثل هذه الحلول في اعتقادي تزيد الطين بلة لأنها تنسي الشباب في همومهم قليلا ثم تعود بقوة ، فمثلها كمثل الهدوء الذي يسبق العاصفة

و عليه يجب الحرص على تنمية الجانب الإيماني في الفرد المسلم لتوثيق الصلة بينه و بين ربه و في هذا الصدد اقترح الدكتور "صالح بن علي أبو عواد " جملة من الحلول للحد من هذه الظاهرة تمثلت في :

1- التمسك بمبادئ و قيم و تعاليم و توجيهات التربية الإسلامية المستمدة من مصادر ديننا الحنيف و العمل على تطبيقها في واقعنا المعاصر لما تقدمه من حلول ناجحة لجميع المشكلات و المظاهر السلبية في المجتمع .

2- زيادة جرعات التوعية اللازمة لأفراد و فئات المجتمع عن طرق مختلف المؤسسات و الوسائل الإعلامية و التعليمية ، لبيان حرمة و خطر الانتحار وما يترتب عليه من نتائج سلبية و مؤسفة و عواقب وخيمة بالنسبة للفرد أو المجتمع .

3- الحرص على تنمية الجانب الإيماني في تربية أبناء المجتمع عن طريق الحث على مراقبة الله في كل الأعمال و الأقوال ، إذ من راقب الله تعالى خافه و اتقاه فلن يستحوذ عليه الشيطان ، و لن يلقي بنفسه إلى التهلكة

4- محاولة تفهم الظروف و الأسباب المختلفة التي قد تدفع بعض أفراد المجتمع إلى محاولة الانتحار و من ثم العمل على مد يد العون لهم و مساعدتهم في حلها من قبل الآباء و المعلمين و رجال الدين و المسؤولين و نحوهم و بذلك يتم القضاء على أسباب هذه الظاهرة و دواعيها .

5- تشديد الرقابة على ما يعرض في وسائل الإعلام مرئية أو مسموعة ، أو مكتوبة ، و عدم السماح بعرض و أو نشر أو بث ما يشجع على مثل هذه السلوكيات السلبية التي لا تتناسب مع ديننا الحنيف .

6- إخضاع الظواهر السلبية في المجتمع للدراسة و البحث حتى تعرف أسبابها و دواعيها ، و من ثم تبدأ خطوات الوقاية منها ، و إيجاد الحلول المناسبة لها .

كما كذلك يمكن أن نعمل على :

-إقامة حملات توعية واسعة عبر وسائل أجهزة الإعلام المختلفة لتحسيس المواطنين بخطورة هذه الظاهرة و عواقبها على أنفسهم في الآخرة ، و على أسرهم و مجتمعهم .

- برمجة ندوات و ملتقيات وطنية و دولية لدراسة هذه الظاهرة ، و بالتالي الوصول إلى حلول للقضاء على هذه الظاهرة أو على الأقل الحد منها .
 - إنشاء مراكز متخصصة و جمعيات على مستوى البلديات و الولايات للوقاية من هذه الظاهرة .
 - الاستفادة من خبرات الدول المتقدمة في هذا المجال .
 - توعية المواطنين في المساجد بخطورة هذه الظاهرة و عواقبها بصفة دورية .
 - إدماج مثل هذه الظواهر السلبية في البرامج التعليمية ، حتى النشء يتجنبها مستقبلا
 - على الأسرة أن تقوم بوظيفتها التربوية باتجاه الأبناء على أحسن وجه بتوعيتهم و مراقبتهم
- خلاصة :**

سلوك الانتحار قديم قدم البشرية ، و ارتفعت معدلاته بمرور الزمن من المجتمعات القديمة حتى العصر الحديث ، و هذا نتيجة التغيرات التي عرفتتها هذه المجتمعات بزيادة الصراعات الدينية و الحضارية ، و السياسية و كثرة المشاكل الاجتماعية و الاقتصادية ، و اختلاف التوجهات و الأهداف و هذا ما يشهده العالم المعاصر في زمن العولمة ، و هذا السلوك له مراحل حدوثه و أبعاد وظيفية متعلقة بالشخصية الانتحارية باستعمال و سائل عنيفة أو سريعة و بطيئة المفعول .

و هذه الظاهرة لم تكن منتشرة بقوة في المجتمع الجزائري من قبل ، أما في السنوات الأخيرة شهدت ارتفاع رهيب ، و هذا ما تبين من خلال الإحصائيات التي قدمنا ، و هذه الأخيرة لا تعبر عن الحجم الحقيقي لهذه الظاهرة لأنني قدمت القليل منها فقط ، و ارتفاعها يرجع إلى التغيرات السريعة و العميقة التي شهدتها المجتمع الجزائري في المرحلة الأخيرة

المراجع :

- 1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج5 ، 1970.
- 2- ناجي الجيوش ، الانتحار ، دراسة نفسية اجتماعية للسلوك الانتحاري ، مؤسسة الشبيبة للإعلام و النشر دمشق ، 1990 ، ص 23 .
- 3- صالح بن سعد اللحيدان ، ظاهرة الانتحار عند الشباب ، مركز التوثيق و المعلومات ، وزارة الشباب و الطفولة عدد5 ، 1992 ، ص 40 .
- 4- الموسوعة الكويتية ، الجزء السادس .
- 5- الطاهر سواكري ، موقف الصحافة المكتوبة من ظاهرة الانتحار في المجتمع الجزائري ، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع ، جامعة الجزائر ، 2008 ، ص 150 .
- 6- عياش أحمد ، الانتحار ، نماذج حية لمسائل لم تحسم بعد ، دار الفرابي ، بيروت ، 2003 ، ص 50 .
- 7- Emile Durkheim : le suicide ,Etude de sociologie ; Puf , Paris, 1897 , p 105

8- سوزان بركات لماذا ينتحر الجزائريين بكثرة :

www.amanjordan.org/a_news/wmview.phppart

9- F . Akli et autres : caractéristiques sociodémographiques et clinique des tentatives de suicide et suicide aux urgences psychiatrique , service des urgence psychiatrique, chu Moustapha bacha , Alger , 2008 .

10- K . Messlhi et autres : le suicide dans la région de Blida , étude et approche médico légale , service de médecine légale , chu de Blida , 2008 .

- 11 – Abbas zirri et autre : le suicide dans la wilaya de tizi Ouzou , étude pour cerner le phénomène de suicide , service de psychiatrie CHU de tizi Ouzou , 2008
- 12 – جمال معتوق ، قراءة سوسيولوجية لظاهرة الانتحار في الجزائر ، المجلة الجزائرية للدراسات السوسيولوجية ، العدد 02 ، جامعة جيجل ، الجزائر 2005 ، 198
- 13 – F , Kaious et autre ; suicide et tentative de suicide dans la région de Annaba , étude médico judiciaire , Annaba , 2008 .
- 14 – N. Ayadi et autres :le suicide , aspect midis – légaux ,étude et enquête statistique sur la mort violentes volontaire dans la région de l’oranie , service de médecine légale ; chu Oran ,2008 .
- 15 – صورة الإسراء ، الآية 33 .
- 16 – صورة النساء ، الآية 29 / 30 .
- 17 – صورة البقرة ، الآية 195 .
- 18 – صورة البقرة ، الآية 155 / 156 .
- 19 – صورة الطلاق، الآية 01 / 02 .
- 20 – Moustapha cherif : suicide et l’islam , 3eme congrès franco- algérien de psychiatrie , Montpellier , France , 2007 .
- 21 – صورة هود ، الآية 9 .
- 22 – صورة فصلت ، الآية 49 .
- 23 – صورة الإسراء ، الآية 83 .
- 24 – الحج ، الآية 11 .
- 25 – ابن القيم ، الفوائد ، ص 224 .
- 26 – صورة النحل ، الآية 18 .
- 27 – البقرة ، الآية 216 .
- 28 – ابن عثيمين ، رياض الصالحين ، ج1 ، ص 101 .
- 29 – صالح بن علي أبو عواد مقال بعنوان : جريمة الانتحار الأسباب و العلاج ، جريدة رابطة العالم الإسلامي العدد 4 ، 5 ماي 2003 .